كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم اي كيف تكفرون بمن هذا وصفه هو
وحال ملكه كذا وَجميعًا حال ومن دالة على ان المراد على ان المراد بالارض
الارضون لان هذا التاكيد لا يحسن ادخاله الا على الجمع وقدم الارض على
السموات لمباشرتهم لها ومعرفتهم بحقيقتها ولما كان في هذه الدنيا من
من يدعي الملك والقهر والعظمة والقدرة وكان الامر في الاخرة بخلاف هذا
لانقطاع الاسباب قال تعالي يوم القيمة ولا قبضة هناك لا حقيقة
ولا مجازا وكذا الطي واليمين وانما هو تمثيل وتخييل لتمام القدرة ولما كانوا
يعلمون ان السموات سبع متطابقة بما يشاهدونه من سير النجوم جمع لكون
سبع جميعا كالتصريح في جميع الارض ايضا في قوله تعالى والسموات
مطويات اي مجموعات بيمينه قال الرازي وههنا سوالات الاول
العرش اعظم من السموات السبع والارضين السبع ثم انه تعالى قال
في صفة العرش ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية فاذا وصف
الملائكة بكونهم حاملين العرش العظيم فكيف يجوز تقرير عظمة الله تعالى
بكونه حاملا للسموات والارض واجاب بان مراتب التعظيم كثيرة فاولها
تقرير عظمة الله بكونه قادرا على هذه الاجسام العظيمة كما ان حفظها
وامساكها يوم القيامة عظيم ثم بعده تقرر عظمته بكونه قادرا على
امساك اوليك الملائكة الذين يحملون العرش السوال الثاني قوله تعالى
والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه شرح
حال لا تحصل الا في القيمة والقوم ما شاهدوا ذلك فان كان هذا
الخطاب مع المصدقين للانبيا فهم معترفون بانه لا يجوز القول بجعل
الاصنام شركا لله فلا فائدة في ايراد هذه الحجة عليهم وان كان الخطاب
مع المكذبين بالنبوة فهم ينكرون قوله تعالى والارض جميعا قبضته يوم
القيمة فكيف يمكن الاستدلال به على ابطال القول بالشرك واجاب
بان المقصود منه ان المتولي لابقاء السموات والارضين من وجوه العمارة
في هذا الوقت هو المتولي لتخريبها وافنائها يوم القيمة وذلك يدل على
حصول قدرة تامة على الايجاد والاعدام ويدل ايضا على كونه قادرا غنيا
على الاطلاق فانه يدل على انه اذا حاول تخريب الارض فكانه يقبض
قبضة وذلك يدل على كمال الاستغنا السوال الثالث حاصل القول
بالقبضة واليمين هو القدرة الكاملة الوافية بحفظ هذه الاجسام
العظيمة فكما ان حفظها وامساكها يوم القيمة ليس الا بقدرته تعالى
فكذلك الآن فما الفائدة بتخصيص هذه الاحوال بيوم القيمة واجاب
بانه انما خصص تلك الحالة بيوم القيمة ليدل على انه كما ظهر كمال قدرته
في الايجاد عند عمارة الدنيا يظهر كمال قدرته في الاعدام عند خراب الدنيا

ولما

ولما كان هذا انما هو تمثيل بما يعهد فالمراد به الغاية في القدرة نزه نفسه المقدسة
عما ربما تشبث به المجسم والمشبه فقال تعالى سبحانه اي تنزه من هذه
القدرة قدرته عن كل شائبة نقص وتعالى علوا لا يحاط به عما يشركون
معه لانه لو كان له شريك لنازعه في هذه القدرة او بعضها فمنعه شيا منها
ومنه معبودا انهم لا قدرة لها على شي روى البخاري في صحيحه في التوحيد
وغيره عن عبد الله بن مسعود قال جاء حبر من الاحبار الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال اذا كان يوم القيمة جعل الله السموات على اصبع والارضين
والارضين على اصبع والماء والثرى على اصبع والخلائق على اصبع ثم يهزهن
ثم يقول انا الملك فلقد رايت النبي صلى الله عليه وسلم يضحك حتى بدت
نواجذه تعجبا وتصديقا لقول الحبر ثم قرا النبي صلى الله عليه وما قدروا
الله حق قدره الاية وانما ضحك النبي صلى الله عليه وسلم وتعجب لانه لم
يفهم منه الا ما فهم علما البيان من غير تصور امساك ولا اصبع ولا
هز ولا شي من ذلك وانما يدل ذلك على القدرة الباهرة وان الافعال
العظام التي تتحير فيها الاذهان هينة عليه هوانا لا يوصل السامع الى
الوقوف عليه الا اجرا العبارة في مثل هذه الطريقة على التخييل
وروى الشيخان عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يطوي الله السموات يوم القيمة ثم ياخذهن بيده اليمنى ثم يقول انا
الملك اين الجبابرة اين المتكبرون ثم يطوي الارضين ثم ياخذهن بشماله
ثم يقول انا الملك اين الجبارون اين المتكبرون وللبخاري عن ابي هريرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقبض الله الارض يوم القيمة ويطوي السما
بيمينه ثم يقول انا الملك اين ملوك الارض قال ابو سليمان الخطابي ليس
فيما يضاف الى الله عز وجل من وصف اليدين شمال لان الشمال محل
النقص والضعف وقد ورد كلتا يديه يمين وليس عندنا معنى اليد الجارحة
وانما هي صفة جا بها التوقيف فنحن نطلقها على ما جاءت ولا نكيفها وننتهي
الى حيث انتهى بنا الكتاب والاخبار المأثورة الصحيحة وهذا مذهب
السنة والجماعة وقال سفيان بن عيينة كلما وصف الله تعالى به نفسه
في كتابه فتفسيره تلاوته والسكوت عليه انتهى وقد قدمنا ان السلف
يجرون المتشابه على ما هو عليه وان الخلف يؤولونه والاول اسلم والثاني
احكم ولما ذكر تعالى كمال قدرته وعظمته مما سبق ذكره اردفه بذكر طريق
اخر يدل ايضا على كمال العظمة وهو شرح مقدمات يوم القيامة فقال
ونفخ في الصور اي القرن النفخة الاولى لان نفخ الصور يكون قبل ذلك
اليوم فصعق اي مات من في السموات ومن في الارض واختلف فيمن
استثنى الله تعالى بقوله سبحانه الا من شاء الله فقال الحسن هو

Copyright © King Saud University